قال إن فيلمه عالج قضايا حساسة بطريقة سليمة

عن ثاني فيلم روائي طويل في مسيرته الفنية بعد «موسم المشاوشة»، تحدث المخرج السينمائي محمد عهد بنسودة لـ«الأنباء المغربية» عن فيلمه «خلف الأبواب المغلقة» كأول تجربة سينمائية مغربية تزيل الستار عن ظاهرة التحرش الجنسي داخل المؤسسات المغربية، في قالب درامي يزيل الأقنعة ويعري الواقع ليقرب المشاهد من معاناة بعض النساء داخل عملهن، موضحا بعض جوانب الاشتغال عليه ورؤيته السينمائية.

محمد عهد بنسودة:

لم أكن في حاجة إلى المشاهد الجنسية «خلف الأبواب المغلقة»

■● «خلف الأبواب المغلقة» يدخل الأسبوع الخامس له بقاعات العرض، هل تحقق لبنسودة ما كان يطمح لإيصاله من خلال هذا الفيلم؟

أعتقد أن أهم شيء يطمح أي مخرج سينمائي الوصول إليه هو نجاح فيلمه من خلال استقطابه لعدد مهم من الجمهور ولمدة زمنية طويلة، شيء جميل، خصوصا إذا تعلق الأمر بفيلم مثل «خلف الأبواب المغلقة» الذي أعتبره تدشينا لنوع سينمائي جديد الغرض منه توعوي لخدمة قضية مثل التحرش الجنسي مع توفير الفرجة السينمائية. وأيضا من أجل جس النبض لمعرفة نوعية الجمهور المهتم بمثل هذه الأفلام، وذلك عن طريق المعالجة الخاصة التي تناولت من خلالها هذا الموضوع، والتي تعاملت معها بحذر لاعتبار من الطابوهات، دونما الحاجة إلى مشاهد العري أو الجنسية المباشرة، بهدف إيصال الموضوع بطريقة سلسة إلى الجميع.

بالإضافة، إلى أن أصحاب القاعات السينمائية أكدوا لنا أن هناك جمهورا لم يعتادوا ارتياده القاعات، جمهور متنوع يضم كل عناصر الأسرة، وهذا هو ما نريده، عودة السينما المغربية إلى ما كانت عليه في السابق، سينما الأسرة المغربية، بغرض توعوي لخدمة قضية معينة مع توفير فرجة سنيمائية.

■● من أجل الوصول إلى هذا الهدف، أكيد تطلب منك مجهودا مضاعفا. ما هي المراحل التي قطعها الشريط قبل الوصول إلى الشاشة الكبيرة؟

بدأنا الاشتغال على الفيلم سنة 2009، لكن قبل أن ندخل في أي خطوة خصصنا سنة 2010 من أجل البحث في مدونة الأسرة، والقانون المغربي، وحوارات مع الجمعيات النسائية التي تعنى بمثل هذه القضايا...، باختصار طرقنا كل الأبواب التي لها علاقة بالموضوع قبل أن نتخذ قرار الشروع في كتابة سيناريو، وبعد مرور سنة وضعناه أمام المركز السينمائي المغربي وحصلنا على دعم بسيط لا يكفي لصنع فيلم جيد، الشيء الذي دفعنا للاستعانة بمجموعة من الإمكانيات الخاصة استثمرت ما بين 2012 و2013 لتصوير الفيلم وعملية التوضيب والمونتاج.

إذن، خضنا مخاضا عسيرا زمنيا ومكانيا من أجل الوصول إلى هذه النتيجة، فمدة 5 سنوات من الاشتغال ليست سهلة كما يتوقعها البعض، وأيضا إصراري على تقديم المغرب الجميل بعيدا عن تلك الصورة النمطية التي اعتاد الجمهور مشاهدتها في الأفلام الأخرى، ومن أجل مواكبة المغرب الجديد والتماشي والواقع الراهن، هذا ما حاولت رسمه في هذا الفيلم بأن أكون صريحا وإيجابيا في تقديمي السينمائي لصورة المغرب المعاصر الحالي .

■● استطعت معالجة قضية حساسة مثل التحرش الجنسي دون أن تضم مشاهد ساخنة، كيف تم ذلك؟

أنا أشتغل على السينما الهادفة بطريقة أكاديمية باستعمال أدوات سينمائية تقدم للمشاهد فرجة سينمائية دون أن تخدش شعوره بالنظر إلى حساسية موضوع التحرش، أعتمد بالخصوص على «قراءة استيتيكية» الهدف منها التوجه إلى جمهور أكبر مع مراعاة واحترام مشاعره، لأننا نتعامل مع جمهور ذكي يستطيع قراءة المشاهد بدون رؤيتها، يستطيع فهم اللقطة دون استعمال اللغة المرئية. رغم أن كل الفرص كانت متاحة لإدراج مشاهد ساخنة ومشاهد جنسية مباشرة، لكن فضلت تمويه المتفرج عوض تقديمها له بشكل مباشر، بحيث بعض المشاهد كانت تعطي إشارة عن وجود مشهد ساخن أو تدشن له فتحول دون حدوثه، لكن مع ترك عامل التشويق لدى المشاهد وتفكيره أنه سيرى المشهد في اللقطة الموالية، إذن، التمويه والترقب عند المشاهد ساهم في الوصول إلى النهاية واستخلاص النتيجة دون الحاجة إلى مشاهد من ذلك القبيل.

ومن جهة أخرى، أعتقد أني لم أكن في حاجة إليها ولأنها لا تخدم الموضوع، وهي بالنسبة إلي بلا أهمية ولن تضيف للعمل شيئا في حالة إذا وظفتها، إذ تكفينا الإشارات والتلميحات للوصول إلى المعنى، وخصوصا إذا كان الهدف بالأساس هو أن يكون الفيلم مفتوحا أمام جميع الشرائح والفئات العمرية.

■● أعطيت دور بطولة الفيلم للممثلة زينب عبيد في أول ظهور سينمائي لها، لم يكن عندك تخوف من هذه الخطوة؟

بحكم تجربتي الطويلة في مجال «الكاستينغ» خصوصا في الأفلام الدولية، اكتسبت القدرة على اختيار الممثل المناسب في الدور المناسب له، إذن، هذه المرحلة التي أعتبرها جد مهمة في اختيار الممثل لا أمر عليها مرور الكرام، بل والأكثر من ذلك خلال مرحلة «الكاستينغ» لـ «خلف الأبواب المغلقة» فضلت عدم الإشراف عليها شخصيا لتفادي السقوط في فخ الميول لممثل معين على حساب الآخر بحكم العلاقة الجيدة التي تربطني بكل الممثلين، الشيء الذي دفعني إلى توكيل هذه المهمة إلى متخصص في «الكاستينغ» بفرنسا، محايد مهمته اختيار الممثل المناسب الذي يتوافق مع الدور وسينجح في تجسيده، وبالفعل، عرضت علينا مجموعة من «البروفايلات» لمجموعة من الممثلين كانت من بينهم زينب عبيد التي توقفت في عملية «الكاستينغ» بشكل كبير، إلى جانب أن لديها قابلية فكرية حول الموضوع، لديها إيمان بالقضية وتتبنى فكرة الدفاع عليها، وهذا مهم بالنسبة إلي، لأني أؤمن بأن الفنان عندما يؤمن بقضية معينة يعطي كل ما لديه، وهذا ما أبانت عليه زينب من خلال التشخيص والالتزام والأخلاق، بالموازاة مع سيرتها المهنية والأخلاقية التي رسمتها من خلال الأعمال التي قدمتها.

ومن جهة أخرى، أعتبر تسيير الممثل داخل «بلاطو» الاشتغال بطريقة احترافية يساعد على إبراز جانب آخر من أداء الممثل لم يسبق للمشاهد رؤيته قبل، على سبيل المثال عبد الله فركوس في «خلف الأبواب المغلقة» ليس نفسه في «موسم المشاوشة» أو في الأفلام التي شاركني فيها، لأني أحرص دائما على عدم تكرار الممثل نفسه في الأعمال الأخرى.

■● الفيلم عرض في فرنسا وأمريكا وبمجموعة من الدول الأوروبية، كيف كان تجاوب الجمهور معه هناك؟

عرض هذا الشريط في أمريكا، وهو أول فيلم عربي إفريقي يحصل على جائزة «ريمي وينز» بمهرجان هيوستن الدولي للفيلم في دورته 46، وعرض أيضا بالهند حاز على جائزة الأعتراف المرأة الهندية، إلى جانب مجموعة من الدول الأوربية كما قلت، لكن أعتقد وحسب المعايير الدولية أن القارتين الأمريكية والآسيوية المتمثلة في الهند من بين القارات الرائدة في صناعة السينما.

حصول «خلف الأبواب المغلقة» على هذه الجوائز في مهرجانات دولية هو في حد ذاته اعتراف العالم بالسينما المغربية والمرأة المغربية بالخصوص، هو أيضا إيمان بقضية عالمية تعاني منها كل الدول العربية والغربية معا، هو نجاح نوع جديد سينمائي يعالج قضايا حساسة مثل التحرش بطريقة سليمة، وصولا إلى البساطة التي تميز أي عمل بعيدا عن الإثارة والمشاهد الخادشة والجارحة للمشاهد.

■● أيضا شارك في مهرجان مراكش في فقرة «نبضت قلب»، والآن يعرض بالمهرجان الوطني للسينما بطنجة في مسابقة الأفلام الطويلة، ما هي ردود الفعل التي تلقيتها ؟

الرؤى تختلف، لكن المهم بالنسبة لي هو تقديم عمل جيد ومراعاة الجمهور، وخدمة قضية معينة مع توفير الفرجة السينمائية. تضارب وجهات النظر وظهور الاختلاف هو في حد ذات نجاح للعمل، وعندما يصل الفيلم إلى أن يكون فيلما توعويا، فهذا، يعني وصوله إلى مرحلة متقدمة، وحين تتعامل مع القضية بوعي يجب أن تكون متحكما في الآليات السينمائية، أعتقد أن نجاح هذا الفيلم ووصوله إلى درجة التوعية وإلى مستوى الاختلاف في الآراء والتضارب فيما بينها.

■● الفيلم يعالج قضية التحرش الجنسي، وفي نفس الوقت أثارت العديد من الفنانات مؤخرا موضوع التحرش الجنسي في المجال الفني خصوصا من طرف المخرجين والمنتجين، كيف ترى هذه الظاهرة؟

بالنسبة لي كل مخرج لديه أخلاق نتعرف عليها ونشاهدها من خلال الأعمال التي يقدمها، لأن العمل الفني هو في حد ذاته مرآة صاحبه. أما بخصوص ظاهرة التحرش داخل الوسط الفني هي موجودة، لأنه مجال للاشتغال ومؤسسة كباقي المجالات والمؤسسات الأخرى، وبالتالي، لا يجب استثناؤه من هذه الظاهرة، أنا شخصيا لا أتوفر على أسماء محددة عانت من هذه الظاهرة داخل المجال الفني أو كانت ضحية من ضحاياه.

المسألة هنا تتعلق بحدة هذا التحرش وبمدى المعاناة التي تواجهها المرأة، والأكثر من ذلك أصبحنا نتعايش معها على أساس أنها أمر طبيعي وعادي، في الوقت الذي يجب علينا محاربتها والحد من تفاقمها، وإسماع صوتنا للجهات المعنية للحد منها، لأن المرأة هي من تعاني حقا بسبب الظاهرة في مجتمعنا المغربي والعربي.

■● بعد «موسم المشاوشة» و «خلف الأبواب المغلقة»، هل تشتغل عن موضوع فيلم آخر؟

أحاول الاشتغال على موضوع آخر من الطابوهات الخطيرة داخل مجتمعنا، هو الآخر يعالج قضية لها علاقة بالمرأة، لكن مع الحفاظ عن رؤيتي الخاصة في السينما تخدم نوعا معينا من المواضيع التي أبتغي منها الوصول إلى الجميع.